

الإشارة إليه فنحن في الواقع نعيش مع عدة مستويات لغوية، بينما تقتضي الكتابة التعامل مع لغة واحدة. ولهذا قد لا نجد مقابلات صوتية لأمر أساسية في الشفوية التي تنهل من الثقافة العامة للمجتمع التي تبتعد كثيراً عن الثقافة الرسمية لهذا المجتمع. ثم إن المجتمع الشفوي ينتفع من تقنيات خاصة للتواصل كالإيقاع والأهازيج والرقص والكلام، وكتوحيد الأنماط التعبيرية لجعلها تعتمد على وحدات متكررة كالسجع الذي يركز على تجزئة الكلام إلى تقسيم ثابت للعبارات بحسب الطول والوزن والطبقة الصوتية. ومع هذا كله، فإن المجتمع الأوروبي وفق في هذا المجال فأصل مفاهيم الأدب الأوروبي وصيغة مواده ترجع إلى اليونان حيث تم هناك تدوين أولى الملاحظات الكتابية التي كانت حتى ذلك الوقت شعراً شفوية مورثاً. وفيما عدا ذلك لم يحدث في أي مكان آخر نقل ثقافة الذاكرة لمجتمع تسود فيه الشفوية في أرشيف الكتابة مثل هذه الصفة الشمولية" (8) وعلى الرغم من وجاهة هذا الزعم، فإنه زعم مبالغ فيه، فقد تم في مجتمعات بشرية نقل بعض التراث الشفوي، إن لم نقل أغلبه، إلى تراث مكتوب كالمجتمع العربي وأصبح ذلك ممكناً لما تحولت لغته العالمية من الشفوية إلى الكتابة بنزول الكتاب المقدس "القرآن الكريم".

ويبدو أن لا مناص من الاعتماد على تقنيات الاتصال الحديثة حتى تضمن للموروث الشفوي لمجتمعنا الاستمرارية، لأن النص المثبت يمتلك قدرة على الصمود أكثر، وبهذا نعطيهِ فعالية أكبر ليصور لنا تفاعلات الفئات الاجتماعية، حتى وإن لم يقرأ بعد فترة زمنية لاحقة.

وإذا كان للمجتمع البشري قنوات خاصة لنقل المعارف والتجارب بوسائل وتقنيات، فهل يعتمد على الشفوية أو المكتوب في ذلك؟ لو أخذنا المجتمعات العربية عينة، لوجدناها تمارس الشفوية في أبعد صورها، فالطفل يكتسب لغة في البيت تختلف كثيراً عن اللغة العالمية المعترف بها، ولهذا تجد اللغة العربية صعوبة في أن تكون لغة عالمية بسبب تمكن الشفوية، ثم لأن اللغة الأجنبية هي التي تقوم بدور اللغة العالمية من دون أن نعترف بذلك صراحة، فالإنسان العربي يتعامل مع لغة عالمه في ثلاثة مستويات المستوى العادي الشفوي، المستوى العربي الفصيح، المستوى الأجنبي.

وقد تكون الذاكرة عنصراً فعالاً في هذا المجال، فالإنتاج الشفوي يمثل في كثير من جوانبه الانحراف عن اللغة العادية اليومية، التي تلعب دوراً مهماً في تبجيلها، إلا أنها تسلبها الحياة التي تمنحها الشفوية، فالكتابة تمثل الثابت، في